أثر عناصر الثقافة المادية في بنية المثل الشعبي ودلالته

دراسة ميدانية تحليلية على أمثالٍ مختارة

خطـري عـرابـي

الأستاذ المساعد بكلية الآداب جامعة القاهرة

الملخص:

يعـدُّ المثـل الـشعبي مـادةً ثقافيـة مهمـة للغاية؛ لأنه جزءٌ من ذاكرة الأفراد والأمـم، ولما يحويه من قـيمٍ ثقافيـة، واقتـصادية، مـن خلال توظيفه لعنـاصر **الثقافـة الماديـة** التـي تستخدمها الجماعة الشعبية في الـسيطرة عـلى الطبيعـة، ومحاولـة الاسـتفادة مـن مواردهـا المتاحة، والتكيف معها، بالإضـافة إلى كونـه وثيقة تاريخية واجتماعية وأدبية، ونوعًـا مـن أنواع التعبير اللغوي الشفاهي.

أمَّا عناصر الثقافـة الماديـة – موضـوع الدراسة – فهي من أهـم مجـالات الـتراث الشعبي؛ لأنها ترتبط بحاجة البشر اليومية كوسـائل معينـة لإشـباع حاجـاتهم الضرورية. كما أنَّ عنـاصر الثقافـة الماديَّـة تحمل مخزونًا ثقافيًّـا في نـسقها الاجتماعـي والزمكاني، هذا المخزون الثقـافي لـه تـأثيرٌ فعَّـال – كـما سيتـضح مـن الدراسـة – في تحديد الدلالة المقصودة من المثل.

تقوم الفكرة الأساسية لهذه الورقة على فرضية تـرى أن الموروثـات الـشعبية كـل متكامل سواء أكان الموروث عنصرًا ثقافيًّا ماديًّا أم غير مادِّي، وهي تشكل فيما بينهـا وحـدة متآلفـة ومتداخلـة؛ لأنهـا إنتـاج إنساني. فالموروث الشفاهي - الذي يتخذ من الكلمة أداة له - يتـأثر بوضـوح - في صـياغة الجماعـة الـشعبية لـه - **بعنـاصر الثقافة المادية** الموجودة في البيئة وبوظيفتهـا

أثر عناصر الثقافة المادية في بنية المثل الشعبي ودلالته (دراسة ميدانية تحليلية على أمثالٍ مختـارة) ، المجلـد الرابع، العدد ٢، إبريل ٢٠١٥، ص ص ٩١ – ١٣٦.

النفعيـة، وهـو مـا تـسعى هـذه الدراسـة لتطبيقه على بنية المثل الشعبي ودلالته.

تهـدف هـذه الدراسـة – عـلى وجـه التحديـد – إلى بيـان أثـر عنـاصر الثقافـة المادية في بنية المثل الشعبي، وتحديد دلالتـه من خلال مـا تكتنـزه تلـك العنـاصر مـن معلومات خاصة بطبيعتها، وبوظيفتها.

وتعتمد الدراسـة عـلى الجمـع الميـداني للمثـل الـشعبي وتحديـده مكانيًـا بالبيئـة الصحراوية في: الواحات البحرية – شمال سـيناء – جنـوب سـيناء – أبـو المطـامير (بحيرة).

وتقوم- منهجيًّـا – عـلى تحليـل بنيـة المثل وستحاول الاستفادة من تحليـل آلان دندس للمثـل الـشعبي ، كـما أنهـا تحـاول الاستفادة أيضًا من معطيات النقد الثقافي.

Abstract:

An Analytic Field Study of Selected Proverbs

Proverbs are considered very important cultural materials as they are a component of the individual and national memory. They also comprise cultural and economic values through their manipulation of elements of the material culture used by the community in controlling nature, trying to benefit from its available resources and adapting to it. Additionally, a proverb is a historic, social and literary document and a kind of oral linguistic expression.

As regards the elements of material culture, which is the subject of this research, they are one of the most important fields of popular heritage as they are related to the daily human practices as means of meeting humans' essential needs. The elements of material culture carry a cultural heritage in their social and time-space paradigm. As will be shown

what these elements entail of information related to its nature and function.

The study is based on field collection of proverbs from the desert environment specifically, in the Bahryya Oasis, north of Sinai, south of Sinai and Abu el-Matameer (Bahaira). Methodologically, it is based on the analysis of the proverb's structure. The study will make use of Alan Dundes's analysis of proverbs in addition to the theories of cultural criticism.

يعدُّ المثل الـشعبي مـادةً ثقافيـة مهمـة للغايـة؛ لأنـه جـزءٌ مـن ذاكـرة الأفـراد والأمــم، ولمـا يحويـه مـن قـيمٍ ثقافيـة، واقتصادية، مـن خـلال توظيفـه لعنـاصر **الثقافـة الماديـة** التـي تـستخدمها الجماعـة الشعبية في السيطرة على الطبيعة، ومحاولـة الاستفادة من مواردها المتاحـة، والتكيـف معها، بالإضـافة إلى كونـه وثيقـة تاريخيـة

in the study, this cultural heritage is effective in determining the connotations of the proverb.

This paper is based on a hypothesis that popular traditions are a comprehensive entity, whether these traditions are material or immaterial cultural elements. They form among themselves a harmonious and interconnected entity as it is a human production. Oral traditions- that use words as a tool- are clearly influenced- in the popular community's formulation of them- by the material cultural elements in the environment and by their materialistic functions, which is what this study attempts to apply to the content and structure of proverbs.

This study specifically aims to investigate the effect of the elements of the material culture on the structure of the proverb and determining its meaning through

واجتماعية وأدبية، ونوعًا من أنواع التعبير اللغوي الشفاهي. والأمثال هي «شواهد ثقافية على القيم السائدة كالعادات والتقاليد والأعراف، وتقوم بدور الموجه العام للسلوك ... وهي في النهاية تعبر عما ينبغي أن يكون بشكلٍ عام»[١].

أمَّا الثقافة – كما يعرفها إدوارد تايلور (١٨٣٢ – ١٩١٧) – فهي «ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والأعراف والقدرات والعادات الأخرى التي **يكتسبها الإنسان** باعتباره عضوًا في المجتمع»[٢]. وهي مجموع الإرث الاجتماعي من العناصر غير البيولوجية التي تتناقل اجتماعيًّا، بما في ذلك أشكال السلوك التكنولوجي والاجتماعي والأيديولوجي والديني والفني وكذلك الأشياء المادية[٣]. وهي آليات الهيمنة من خطط وقوانين وتعليمات ... ومهمتها هي التحكم بالسلوك[٤].

وقد استقرت الدراسات الإنسانية المعاصرة على اعتبار مفرد " ثقافة " مصطلحًا يدل على منظومة من الخبرات التي حصلتها جماعة من الجماعات البشرية تتجلى فيها طريقة هذه الجماعة في الحياة، وتتحدد أنساقها القيمية والمعتقدية والمعرفية والجمالية التي تعبر عن نظرتها إلى الوجود الاجتماعي والطبيعي. وحددت الموضوعات التي يشملها المصطلح بأنها القيم والمعارف والتصورات والعادات والأعراف والتنظيمات، والتعبيرات الفنية، وأساليب العمل، والإنتاج وأدواته وعلاقاته، وأي قدرات أخرى يكتسبها الفرد بوصفه عضوًا في المجتمع[٥].

إنَّ الثقافة تنطوي على مفارقات كثيرة بسبب تنوعها وظلالها الكثيرة. وتظهر هذه المفارقات في الأبعاد الثلاثة: التاريخي، والجغرافي، والاجتماعي. ومن

الجوانب المهمة للبحث الثقافي تتبع مثل هذه المفارقات وتفسيرها[٦].

والمقصود **بعناصر الثقافة المادية** كل ما يصنعه الإنسان من أدوات يستخدمها؛ لكي تسهل عليه إنجاز عمله، وتساعده على إشباع حاجاته الضرورية؛ وتشمل الأدوات التي يستخدمها في الزراعة ومستلزماتها، مثل: المحراث – أدوات الحصاد – الشادوف – القنطرة –أدوات درس الحبوب. والأدوات التي يستخدمها في المنزل مثل: أدوات طحن الحبوب – الأفران – المواقد – أدوات المطبخ – القربة. وكالحرف والصناعات الشعبية كصناعة الفخار (قلل – زير – برمة – مترد .. إلخ)، وكالحلي وأدوات الزينة، وكصناعة الخوص كالقفف وغيرها... إلخ.

و **عناصر الثقافة المادية** تعد من أهم مجالات التراث الشعبي؛ لأنها ترتبط بحاجة البشر اليومية كوسائل معينة لإشباع حاجاتهم الضرورية. كما أنَّ عناصر الثقافة الماديَّة تحمل مخزونًا ثقافيًّا في نسقها الاجتماعي والزمكاني، هذا المخزون الثقافي له تأثيرٌ فعَّال – كما سيتضح من الدراسة – في تحديد الدلالة المقصودة من المثل. لهذا ينبغي أن يبقى واضحًا في الذهن أنَّ هذه الأمثال – موضوع الدراسة – وإن كانت مناط الاستدلال بها على العناصر المادية؛ فإنَّ هذه المادية – بما تحمله في طياتها من دلالات في إطار سياقها الثقافيّ[٧] – تجعلنا نتجاوب مع المثل الذي يلمس في كلٍّ منَّا شيئًا "ما" يتسق وثقافته الخاصة. **من هنا يجب الاحتراز من أنَّ المادي لا ينفصل عن المعنوي إلاَّ على سبيل التحليل والدراسة.**

وترتكز رؤية اليونسكو للثقافة عامة على أنَّ جميع الثقافات تشكل جزءًا لا يتجزأ من التراث المشترك للإنسانية، وأنَّ

الذاتية الثقافية لكل شعبٍ تتحدد وتثري من خلال الاتصال بتراث الشعوب الأخرى وقيمها؛ ذلك أنَّ الثقافة حوارٌ وتبادل للأفكار والخبرات وتقدير للقيم والتقاليد المتنوعة[٨].

فكرة البحث:

وتقوم الفكرة الأساسية لهذه الورقة على فرضية ترى أن الموروثات الشعبية كل متكامل سواء أكان الموروث عنصرًا ثقافيًّا ماديًّا أم غير مادِّي، وهي تشكل فيما بينها وحدة متآلفة ومتداخلة؛ لأنها إنتاج إنساني. فالموروث الشفاهي - الذي يتخذ من الكلمة أداة له - يتأثر بوضوح - في صياغة الجماعة الشعبية له - **بعناصر الثقافة المادية** الموجودة في البيئة وبوظيفتها النفعية، وهو ما تسعى هذه الدراسة لتطبيقه على بنية المثل الشعبي ودلالته.

إنَّ عناصر الثقافة المادية تتألف من أنشطة إنسانية خصبة، وحية في بيئتها، تتجلى إشعاعاتها الدلالية داخل بنية النص من خلال تشكيلها وتكوينها في تركيب لغوي معين، ومبدع المثل عندما يبدعه، أو يقوم بضربه في سياق مماثل، يبتكر عالمًا إبداعيًّا لم يكن في متناولنا قبل أن يبدعه المؤلف من خلال تفاعل مكونات النص فيما بينها. «إنَّ المؤلَّف المعهود هو ناتج ثقافي مصبوغ بصبغة الثقافة ... ثمَّ إنَّ خطابه يقول من داخله أشياء ليست في وعي المؤلف، ولا في وعي الرعية الثقافية، وهذه الأشياء المضمرة تعطي دلالات تتناقض مع معطيات الخطاب سواء ما يقصده المؤلف، أو ماهو متروك لاستنتاجات القارئ»[٩].

أهمية الدراسة:

إنَّ عناصر الثقافة المادية – بما تحمله من وظيفة نفعية – لها تأثيرٌ واضح في بنية المثل، وتحديد دلالته من خلال تفجيرها لمضمونٍ بعينه يثير في وعي المتلقي

خلفيات بالغة الثراء تبدو حكرًا عليه، وعلى بني بيئته الذين يخبرون هذه الأدوات ووظيفتها عن كثب.

كما أنَّ تحديد عناصر الثقافة المادية مهمة في الكشف عن أوجه النشاط الإنساني، كما أنها تبين التطور الاجتماعي الذي حدث للإنسان من خلال أدواته؛ حيثُ إنَّها - عناصر الثقافة المادية الموجودة في الأمثال - تشير إلى العناصر الموروثة التي كانت مستخدمة في فترة من حياة الإنسان، ويمكن **لباحث أنثروبولوجي** أن يكشف عن مدى التطور الذي حدث للإنسان من خلال تطور أدواته المختلفة، كما يمكنه – الباحث الأنثروبولوجي – أن يحدد عناصر الثقافة المادية الموجودة في البيئة، ويحاول أن يقوم بتنميتها، خاصة فيما يتعلق بالعناصر الخاصة بالحرف والصناعات التقليدية.

بالإضافة إلى أن عناصر الثقافة المادية الموجودة في الموروثات الشفاهية تعد تاريخًا لأوجه النشاط الاقتصادي التي كان يمارسها الإنسان في مجتمع من المجتمعات، وهي تشير إلى مدى مساهمة الإنسان بتراثه في الحضارة الإنسانية من ناحية، وتحفظ له هويته الذاتية من ناحية أخرى.

هدف الدراسة:

ليس الهدف من هذه الورقة بيان أهمية عناصر الثقافة المادية بشكل عام؛ إنما تهدف - على وجه التحديد - إلى بيان دورها في بنية المثل الشعبي، وتحديد دلالته من خلال ما تكتنزه تلك العناصر من معلومات خاصة بطبيعتها، وبوظيفتها.

حدود الدراسة:

أ- الحدود الزمكانية:

تعتمد الدراسة على الجمع الميداني للمثل الشعبي وتحديده مكانيًا بالبيئة الصحراوية في: الواحات البحرية – شمال

سـيناء – جنـوب سـيناء – أبـو المطـامير (بحيرة). ومن الأمانة العلمية أن أشير إلى أنَّ الجمع الميداني قد تـمَّ في فـتراتٍ زمنيـة مختلفة تمتد ما بين عـامي ٢٠٠٩- ٢٠١٤، وفي أثنـاء جمعـي لـبعض أنـواع الـشعر الشعبي من تلك المناطق.

ب – الحدود النوعية:

هذه الدراسة ستتخذ من المثل الـشعبي المحتوي على عناصر من الثقافة المادية مادة لها، دون غيره من الأمثال، والدراسـة لـن تقوم بتحديد عناصر الثقافة المادية مسبقًا؛ إنـما سـيتم تحديـدها مـن خـلال الأمثـال الشفاهية المنتقاة – موضوع الدراسة – فهي التي ستكـشف لنـا عـن حجـم العنـاصر المادية الموجودة في صياغة الأمثال الشعبية، وهذا سيكشف عن أمورٍ ثلاثة:

١- البيئة التي أنتجت هـذه العنـاصر، وقـد يـساعد ذلـك عـلى كـشف المـوطن الأصلي للمثـل، أو للنـوع الـشفاهي – إذا قامت الدراسة على نوعٍ آخر- اعتمادًا عـلى العنصر المادي المستخدم في صـياغة النـوع الشفاهي.

٢- والأمـر الثـاني هـو كـم العنـاصر الماديـة التـي كـان يـستخدمها الإنـسان في أنشطته المختلفة والكشف عن المندثر منها والذي لايزال فاعلاً في بيئته، والذي تطور وتغير إلى عنصر آخر؛ لأن العناصر الماديـة بمختلف أشكالها تتطـور وتتغـير؛ إذ إنَّهـا تجنح إلى تيسير حاجات الإنسان.

٣- إنَّ تحديـد عنـاصر الثقافـة الماديـة يكشف عن أكثر العناصر الماديـة ورودًا في الأمثـال ودلالـة ذلـك مـن وجهـة نظـرٍ أنثروبولوجية.

منهج الدراسة:

تعتمـد الدراسـة – منهجيًّـا – عـلى تحليل بنية المثل وستحاول الاسـتفادة مـن تحليـل آلان دنـدس للمثـل الـشعبي في دراسته القيِّمة" **نحو: بنية المثل** " التي قمنا

بترجمتها ونشرها في مجلة الفنون الشعبية[١٠]، كما أنها تحاول الاستفادة أيضًا من معطيات النقد الثقافي[١١].

صعوبات الدراسة: تتمثل صعوبات الدراسة في:

١ – صعوبة جمع المثل الشعبي من الميدان[١٢].

٢– الصعوبة الثانية تأتي من الانتقاء أو الاختيار؛ إذ الدراسةُ تقوم على الأمثال التي تحتوي على عناصرَ ماديةٍ دون غيرها، وهي أمثال نسبتها قليلة إلى ما تم جمعه بالفعل.

٣– صعوبة الدراسة ذاتها؛ **إذ لم تتناول دراسة سابقة هذه الجزئية بالدراسة والتحليل**، وهذا ما جعل هذه الدراسة تستغرق وقتًا طويلاً من الباحث في تأمل بنية المثل، ووصفها، ومحاولة إظهار أثر عناصر الثقافة المادية في بنية الأمثال، وفي دلالتها على حدٍّ سواء.

تبدأ دراستنا هذه بتحليل الأمثال المختارة بحثًا عن موقع العنصر المادي من بنيتها، وأثره في تحديد دلالة المثل. وبالنظر في الأمثال المختارة، وجدنا عناصر الثقافة المادية تقع في:

١ – جزأي المثل: رأس المثل وذيله، وقد تكون صياغة المثل في:

أ- جملة خبرية.

ب – جملة إنشائية.

ج – جملة شرطية.

٢– العناصر المادية تقع في رأس المثل، وتكون صياغة المثل في:

أ-جملة خبرية.

ب – جملة إنشائية.

ج – جملة شرطية.

١ – العناصر المادية تقع في ذيل المثل وتكون صياغة المثل في:

أ- جملة خبرية.

ب – جملة إنشائية.

ج – جملة شرطية.

أولاً: العناصر المادية تقع في رأس المثل وفي ذيله:

١ ـ العناصر المادية تمثل جزئي المثل (الرأس والذيل)، ومن خلال وظائف العناصر المادية في الواقع الذي أنتجها، وما تكتنزه من دلالات في نسقها الثقافي يتبلور المعنى الذي جاء به المثل. فمثلاً:

١- **اللّي في الدِّست[١٣] تطلّعه المغرفة[١٤]**

نلاحظ أن رأس المثل (اللي في الدست) وذيله (تطلعه المغرفة) والدست والمغرفة من عناصر الثقافة المادية التي كانت تستخدم في المطبخ . فالدست كالقدر غير أنه متسع من القاعدة ويضيق نسبيًا من رأسه، والمغرفة: أداة خشبية يستخرج بها الطعام من الدست.

ومن الملاحظ أن عنصري الثقافة المادية ساهما بوضوح في بلورة معنى المثل من خلال وظيفتهما النفعية في نسقهما الثقافي، بالإضافة إلى استخدام المجاز. فالموجود في القدر ستخرجه المغرفة ولا تخرج غيره، ومع وجود المجاز تتضح دلالة المثل، التي تتناص مع دلالة بيت زهير بن أبي سلمى:

ومهما تكُنْ عند امرئٍ من خَلِيقةٍ وإن خالها تخفَى على النَّاسِ تُعْلَمِ[١٥]

وإذا كان المثل قد أتى بعنصرين من عناصر الثقافة المادية، فإنَّ السياق هنا (مضرب المثل، أو الموقف) هو الذي ركَّز على الجانب المعنوي الذي يمكن أن يفهم من المثل، والسياق كما يقول فندريس: «هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل عليها، والسياق أيضًا هو الذي يخلص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها، وهو الذي يخلق لها قيمة حضورية»[١٦].

أما المثل:

٢ -إبريق انكَسر وادي بَزْبُوزهْ

فنلاحظ أنه يحتوي في جزئه الأول على

عنصر مادي واحد وهو الإبريق، الذي كان يستخدم لغسل الأيدي قبل الأكل وبعده، أما في جزئه الثاني فهو يحتوي على جزء من العنصر المادي وهو (**البزبوز**). إنَّ وجود العنصر المادي (**إبريق**) بمفرده لم تتحدد معه دلالة بعينها ترتبط بالإبريق وبوظيفته النفعية المعروفة في البيئة الثقافية التي أنتجته، إنَّما تبلور المعنى، واتجه في **سياقٍ معنوي** من خلال تركيز المثل على جزء العنصر الثقافي المادي الواقع في ذيل المثل "**وادي بزبوزه**" فالسياق اللغوي للمثل الذي جمع بين العنصر المادي وجزئه هو الذي فجَّر معنى المثل، وهذا ما أكدَّ عليه عبد القاهر الجرجاني في ربطه فصاحة الكلمة بسياقها اللغوي حين قال: «وجملة الأمر أنَّا لا نوجبُ "الفصاحةَ" للفظةٍ مقطوعةٍ مرفوعةٍ من الكلام الذي هي فيه، ولكنَّا نوجبها لها موصولةً بغيرها، ومعلقًا معناها بمعنى ما يليها»[١٧]. فمعنى المثل قد تبلور من خلال اجتماع العنصر المادي مع جزئه في بنية المثل، ذلك الاجتماع الذي نقل هذا العنصر المادي من معناه الحقيقي إلى معنى يقوم على الاستعارة التمثيلية؛ إذ يضرب للأمر الواضح الجلي، الذي قامت عليه من البراهين ما لا يدع مجالاً للتشكيك فيه.

وهذا الاجتماع نفسه، هو الذي أدَّى إلى صياغة المثل بطريقة أخرى تعتمد على ارتباط العنصر المادي مع جزئه مع تغيير عنصر الثقافة المادي "**آدي الزِّير وآدي غطاه**". وهو يتناص أيضًا مع معنى المثل: "آدي الجمل وآدي الجمال"، والمثل: "قالوا الجمل طلع النخلة. آدي الجمل وآدي النخلة".

وإذا نظرنا إلى المثل:

٣- اللّي ما يقْدرش عليه القدوم يقْدر عليه المِنشار[١٨]

فالقدوم أداة حديدية بيد خشبية يستخدمها الفلاح في قطع بعض أفرع

الأشجار وتشذيبها، وقد يستخدمه في جمع الحطب، وهي تشبه الفأس لكن حديدتها صغيرة جدًا أقل من كف اليد، والمنشار يستخدمه النجار والفلاح على حد سواء. نلاحظ أن عنصري الثقافة المادية (القدوم والمنشار) هما الأساس في فهم معنى المثل من خلال وظيفتهما النفعية؛ فالقدوم يقطع الأشياء الصغيرة والضعيفة، والمنشار يقطع ما هو أقوى وأشد. فلكل أداة وظيفتها؛ فهذا القدوم مع صغر حجمه فإنَّ له مهامَّ لا يقوم بها شيءٌ سواه، وهذا ما يريد أن يوصله المثل؛ فما لا يصلحه الشديد يصلحه ما هو أشد منه، والضرورة – كما يقول الفقهاء – تُقدَّرُ بقدرها، وصدق المتنبي حين قال:

ووضعُ النَّدى في موضع السَّيفِ بالعُلا
مُضِرٌّ كوضعِ السيفِ في موضعِ النَّدى[١٩].

وقد يحتوي المثل على عنصري الثقافة المادية بحيث يكون فيهما العنصر الوصفي الثاني نتيجة للعنصر الوصفي الأول في أسلوب الطلب:

٤- حُطَّهْ في مِدْودَهْ تِلْقَاه في مِتْردَهْ[٢٠]

فالمدود: معلف الدابة. والمترد: وعاء من الفخار واسع من أعلى ضيق من أسفل، يستخدمه الفلاح وعاءً لحلب اللبن، وقد يضع الثريد فيه، وقد يخبز فيه كمية قليلة من الدقيق، أو تصنع فيه الخميرة.لكنَّ الدلالة التي حددها السياق هنا تقتصر على استخدام المِترَد وعاءً لحلب اللبن. فالعنصر الوصفي الثاني (تلقاه في مترده) نتيجة للعنصر الوصفي الأول (حطه في مترده)، وفي هذا الأسلوب الطلبي تتضح الدلالة النحوية الصريحة للمثل: **ضع من العلف ما تشاء في المدود ستجده في المترد**، على أنَّ هذا المعنى الظاهري المحسوس ليس مقصودًا في حد ذاته، وإن كانت نتيجته منطقية وطبيعية؛ إنَّما المعنى الدلالي المقصود يتولد – كما

يقول الغذامي – من الجملة الثقافية [٢١]، ذلك أنَّ الأفراد «عندما يتحدثون فإنَّهم لا يتحدثون من فراغ ، ولكنَّهم يتحدثون وفي عقولهم مخططات ثقافية وتاريخية»[٢٢]، وفي المثل تناقض واضح من خلال الطباق الظاهري بين: **حطه، وتلقاه**. ومن خلال التناقض الظاهري – بين ما يوضع في المدود، وما يؤخذ من المترد – وما يحمله من مخزونٍ ثقافيٍ للعنصرين الماديين تتضح الدلالة النسقية[٢٣] للمثل. التي يمكن أن تتلخص في: أنَّ ما تقدمه ستجده.

ونلاحظ هنا أنَّ مبدع المثل يعتمد على فهم المتلقي لطبيعة المِدْوَد والمِترَد ووظيفتهما النفعية في البيئة التي أنتجتهما، وهذا ما أسهم بدوره في اختصار المثل بهذه الطريقة، على أنَّ السِّياقَ هنا هو الذي أدَّى إلى انتقال الذهن من تحديد دلالة المثل من المحسوس الظاهر إلى المعنوي الباطن؛ إذ السياق هنا « هو المؤسس للدلالة الكاشف عنها»[٢٤]. وهذا المثل قد يتناص مع المثل العربي: " كما تزرع تحصد"[٢٥] "ويقترب من المثل العربي: "إنَّك لا تجني من الشوك العنب"[٢٦] في بعض دلالاته.

ـ العنصر المادي يقع في جزئي المثل؛ بحيث لا يتناقض العنصر الوصفي الأول ظاهريًا مع العنصر الوصفي الثاني؛ بل يحقق معه سجعًا يحدث أثرًا موسيقيًّا، وكلا العنصرين يتناقضان من خلال ما يُكَنِّيانِ عنه. من خلال التناقض فيما يُكَنِّي عنه العنصران تتضح الدلالة المقصودة من المثل. مثل:

٥- اللّي تحبل في الفُرنْ تولد في الجُرنْ

فالعنصر الثقافي المادي، وهو العنصر الوصفي الأول وفقًا لتحليل دندس[٢٧] (الفرن) لا يتناقض في الظاهر مع العنصر الوصفي الثاني (الجرن) لكن التناقض يقع من خلال المجاز؛ فالعنصر الوصفي

الأول (الفرن) كناية عن المبالغة في إخفاء الشيء، والعنصر الوصفي الثاني (الجـرن) كناية عن المبالغة في إظهار الشيء، فهـو في طريق المارة، الكـل يـراه. وتبـدو الدلالـة النحوية الصريحة من ظاهر التركيـب غـير مستحيلة؛ إذ إنَّ هذا قد يحدث في الواقـع، لكنَّ المعنى المقـصود للمثـل لا يتحـدد إلاَّ من خلال الدلالة النسقية، أو مـن الجملـة الثقافية التي تتضح مـن خـلال **التنـاقض** فيما يُكَنِّي عنه العنـصران، ذلـك التنـاقض الـذي يبلـور معنـى المثـل في: أنَّ الإنـسان مهما بالغ في التـستر والتخفـي عـن عيـون الناس؛ فسرعان ما تكشف الأيام والليالي عن مكنون ما أخفى، وهو يتناص مع هذا المثل الشعبي في بعض دلالاتـه: "يـا خـبر بفلوس بكره يبقـى بـبلاش" أو كـما قـال طرفة بن العبد في معلقته[٢٨]:

ستبدي لكَ الأيامُ ما كنتَ جاهلًا ويأتيك بالأخبار من لم تـزوِّد
ويأتيك بالأخبار مَـن لم تبـع لـه بتاتًا ولم تضرب له وقتَ موعِدِ

وفي المثل:

٦- قطـارْ الـضَّرايرْ سـارْ وقطـار الحموات[٢٩] احتارْ

نجد أنَّ العنصر الثقافي المادي يتكرر في رأس المثل، وفي ذيله (قطار) واقعًـا مبتـدأ خبره في نهاية رأس المثـل، وفي نهايـة ذيلـه (سار- احتار). والتعبير بالجملة الاسـمية هنا للثبوت، وكأنَّ مبدع المثل يقرر حقيقـة واقعة ثابتة، على أنَّ العنصر الثقافي المـادي (قطار) لم يحدد الدلالة بمفرده؛ إنما تحددت الدلالة من التداعيات الثقافيـة للمـضاف إليه في جزئي المثل (الضرايـر – الحموات)، وقد سـاهم النـسق التركيبـي للمثـل مـع النسق الثقافي في بلورة معنـى المثـل الـذي توسل بالتضاد الواقع بين الخبرين (سار – احتار)، بالإضـافة إلى توسـله بالاسـتعارة التمثيلية التي نقلـت الدلالـة مـن الدلالـة الظاهريـة المحـسوسة غـير المقـصودة إلى الدلالة النسقية التي بلورت معنى المثل.

٧- خير الخزانه يبان ع الضَّبّه

هذا المثل صيغ على هيئة جملة اسمية دلالة على الثبوت، وقد وقع العنصر الثقافي المادي في جزئي المثل (في المبتدأ والخبر) والخبر جملة فعلية فعلها مضارع لاستحضار الصورة، فما تحويه الخزانة من مؤن المعيشة (من دقيق، وسمن، وسكر، وزيت ...إلخ) بادٍ لا محالة على ضبتها التي عادة ما يحرص صاحب الخزانة على إغلاقها كل مرة إثر أخذ شيء أو وضع آخر، وبدهي أن تصيب يده هذه الضبة ببعض ما علق فيها من محتويات الخزانة، أما إذا كانت الخِزانة خاوية على عروشها فلن يصيب الضبة شيء من هذا، وتبقى الضبة نظيفة على حالها. فالعنصر المادي يُظهر دلالةً واضحة ملموسة ومرئية على الضبة، من خلالها تنتقل الدلالة إلى الجانب المعنوي المقصود (مضرب المثل).

والمثل بهذا المعنى يستدعي من الموروث الثقافي نماذج أخرى عديدة تتماس معه في بعض الجوانب، وإن بقي لكل منها إشعاعاته الخاصة به، وسياقاته الاجتماعية التي لا ينافسه سواه في الاستشهاد فيها من ذلك على سبيل المثال: "الجواب يبان من عنوانه" وقولهم: "على وشك يبان يا مضاغ اللبان" ، والجامع بين هذه الأمثال أنَّ البوادر تكشف عن الطوايا، وأنَّ استهلال الشيء كاشف عن أثره وبقيته، وهو يستدعي من التراث العربي المثل القائل: "كلُّ إناءٍ يرشحُ بما فيه"[٣٠]، ويروى ينضحُ بما فيه، وهو الذي أخذه كشاجم وصاغه في قوله:

ويأبى الذي في القلبِ إلاَّ تبيُّنًا ... وكلُّ إناءٍ بالذي فيه يرشحُ[٣١]

وفي هذا المثل:

٨- يعمّروا ساقيهْ ويخرّبُوا طاحونْ

نجد العنصر الثقافي المادي حاضرًا بلفظه في جزئي المثل (ساقيهْ، وطاحون)، وتتحدد الدلالة الظاهرية للمثل من خلال التضاد الواقع بين الفعلين (يعمروا،

ويخربوا)، وبين ما تدل عليه الساقية التي ترفع المياه، وما تدل عليه الطاحون التي تدور بفعل هذه المياة لكي تطحن الحب وتعركه. ومن خلال **النسق**[٣٢] الثقافي للساقية والطاحون والتناقض بين الفعلين، وما في المثل من استعارة تمثيلية تحول الدلالة من الدلالة الوضعية الظاهرية إلى الدلالة النسقية للمثل الذي يضرب لمن يقوم بإعمار الشيء الرئيس، ولم يصل إلى الغاية؛ لأنه خرَّب الشيء المبتغى. وهذا ما يتناص مع المثل القائل: "يبني قصرًا ويهدم مصرًا".

أما في هذا المثل:

٩- اللّي يحلّها بايدهْ أحسن م اللّي يحلّها باسنانهْ

فقد وجدنا العنصر الثقافي المادي حاضرًا في رأس المثل وفي وذيله من خلال ذكر بعض لوازمه (يحلها بايدهْ – يحلها باسنانهْ)، فالمقصود بذلك حل العقدة التي تربط بها الدابة؛ فالأفضل أن تربط العقدة بطريقة يسهل حلها بالأيدي، عن أن تعقدَها عقدةً لا تستطيع حلها إلا بأسنانك. إنَّ الدلالة الوضعية، الظاهرية ليست هي المقصودة، وإن كانت جائزة، لكنَّ الدلالة المقصودة من المثل اكتسبت معنى إضافيًّا من خلال التركيب، هذا المعنى الإضافي هو «القيمة الاتصالية التي ينتظمها تعبير ما، بمقتضى ما يشير إليه من دلالات ثانوية تضاف إلى دلالته الأصلية»[٣٣]. فكل الدلالات تشترك في تعيين الدلالة المقصودة من ضرب هذا المثل من خلال المفاضلة بين الحل باليد والحل بالأسنان على ما فيه من استعارة تمثيلية تجعل مضرب المثل ينصرف إلى حسن تدبير الأمو، وأن يقوم الإنسان بحل المشكلة في بدايتها قبل أن يستفحل شأنها وتتعقد.

لا حظنا في الأمثال السابقة أن المثل يعتمد على عنصري الثقافة المادية في تعيين

الدلالة النهائية المقصودة للمثل (مضرب المثل)؛ وذلك من خلال النسق الثقافي لعناصر الثقافة المادية وما تحمله من دلالات مرتبطة بوظيفتها النفعية، بالإضافة إلى المعنى الإضافي المتولد من نظم هذه العناصر مع غيرها في بنية المثل. فبمعرفة وظيفة عناصر الثقافة المادية التي يستخدمها الإنسان مبدع المثل، وإشعاعاتها الدلالية يقوم المبدع باستعارة المعنى من عنصري الثقافة المادية إلى المعنى الذي يريد أن يحمله المثل، والذي يضرب في كل موقف مشابه لهذا الموقف .

ثانيًا: العنصر المادي هو العنصر الوصفي الأول، واقعًا في رأس المثل، ومعتمدًا على المجاز، كما أنه يمثل مع العنصر الوصفي الثاني (في ذيل المثل) سجعًا وازدوجًا، ويتبلور معنى المثل من اجتماع العنصر الثقافي المادي في السياق التركيبي في بنية المثل. مثل:

١٠- جفن العين جراب ما يملاه إلا التراب

فالعنصر المادي هو **الجراب** الذي يصنع من الجلد، وقد وقع مشبهًا به في التشبيه البليغ (جفن العين جراب)، ونلاحظ أنَّ رأس المثل جملة اسمية من مبتدأ وخبر، وذيل المثل جملة تقع صفة للعنصر المادي (الخبر)، والعنصر المادي (جراب) له دلالة في سياقه الثقافي، وعلى الرغم من ذلك لم يتحدد المقصود بالمثل إلاَّ في وضعه في سياقه التركيبي في بنية المثل، فبالسياق يتضحُ المعنى؛ ذلك أنَّ الدلالة ترتكز «على كشف إمكانية تأليف المعنى العام للخطاب انطلاقًا من معنى الوحدات المعجمية، وضرورة ملاحظة الأقوال التي ينتجها المتكلمون»[٣٤]. فاجتماع رأس المثل مع الذيل هو الذي تحدَّدت معه الدلالة المقصودة من المثل، وهو الجشع والحرص المركب في طباع الناس. والمثل يتناص مع حديث رسول

الله ﷺ **"ولا يمـلأ جـوف ابـن آدم إلا التراب"** [٣٥].

ـ العنصر المادي يمثل العنصر الوصفي الأول الذي يبنى عليه المثل ولكنه يتناقض مع العنصر الوصفي الثـاني، ومـن خـلال التناقض بين العنصرين يتضح معنى المثل.

مثل:

١١- خواتم تُرصف في إيدين تقرف

فالخواتم (العنصر المادي) وقـع مبتـدأً متبوعًا بجملة نعـت، وهـذا هـو العنـصر الوصـفي الأول الـذي يبنـى عليـه المثـل، وهو يتناقض مع العنصر الوصـفي الثـاني (الجار والمجرور المتعلق بالمبتـدأ، والمتبـوع بجملة نعت). ومن خـلال التنـاقض بـين جزئي المثل يتضح معنى المثل الـذي يـرى أنَّ التزين لا يجدي مـع غـير ذات الجـمال. ويبدو أن الـسياق الـذي ضرب فيـه هـذا المثل يختلف عن السياق الـذي ضرب فيـه المثل القائل: لبَّس البوصهْ تبقـى عروسـهْ. بالإضـافة إلى وجـود الـسجع والازدواج بين رأس المثل وذيلـه. وهـو يتنـاص مـع قول الشاعر:

جمال الوجهِ مع قبح النفوسِ كقنديلٍ على قبرِ المجوسي

ومثل هذا المثل:

١٢- تـحـت الـبـراقِع سِـم ناقع

فالعنصر المادي (البراقع) وقع في رأس المثل مـضافًا إلى الظـرف "تحـت"، وهـذا التركيب الإضافي وقع في محل الخبر، وقـد تأخر المبتدأ ليقع في ذيل المثل(سم) متبوعًا بصفة (ناقع)، والبرقع له دلالـة في إطـاره الثقافي؛ إذ به تنتقب المرأة، وتخفي وجهها، لكنَّ المعنى الكلي لا يتضح إلاَّ من اجـتماع الدلالــة في النــسق الثقــافي، وفي النــسق التركيبي. فالعنصر الثقافي في المثل (تحـت البراقـع) لـه وظيفتـان: الوظيفـة الأولى إحـداث التنـاقض في المثـل بـين الظـاهر الحـسن، والبـاطن القبـيح الـذي يمثـل العنصر الوصفي الثاني، على أنَّ حـدة هـذا

التناقض تزايدت إلى القدر الذي أخرج هذا المثل مخرج المفارقة التي تُبرز بشاعة الطبع ما بين كلام معسول وبسمة خادعة من جانب، وخبثٍ وسوء طوية يتربصان تربص الأفعى بفريستها من جانب آخر. ومن خلال هذا التناقض المعنوي يتضح معنى المثل القائم على المفارقة. أما الوظيفة الثانية فهي إحداث السجع بين كفتي المثل، أو بين الرأس والذيل.

ومثله أيضًا:

١٣- القفة اللّي ليها ودنين يشيلوها اتنين

نلاحظ أن العنصر المادي مثل رأس المثل وحقق مع ذيل المثل سجعًا، مما يؤدي إلى حفظ المثل وانتشاره. ناهيك عن أن العنصر الثقافي المادي (القفة) لم ينص المثل على وظيفتها التي هي معلومة من جماعة المتلقين بالضرورة، بيد أنه احترز في سياق تأكيد ضرورة المشاركة والتفاعل المزدوج بعبارة وصفية بالغة الدلالة (اللّي ليها ودنين) والتي قد تبدو للوهلة الأولى إطنابًا لا حاجة إليه؛ إذ لا قفة دون يدين (ودنين) لكن بنية المثل وتتمته يكشفان عن مساس الحاجة لصيغة التثنية هذه، حين يأتي ذيل المثل حاملاً فحواه والمغزى منه (يشيلوها اتنين)، وهو يستدعي معنى المثل الشعبي: "إيد لوحدها ما تشأفس". **وهكذا يقوم العنصر المادي مقامه التأسيسي لجوهر صيغة المثل وبنيته.**

- يأتي العنصر المادي في رأس المثل (العنصر الوصفي الأول) مثبتًا، وذيل المثل نفي لصفة في العنصر الوصفي الأول، ومن خلال النفي يتضح معنى المثل. مثل :

١٤- الإبريق المليان ما يلَقْلَقشْ

فالإبريق هو العنصر المادي جاء كعنصر وصفي أول يبنى عليه المثل(مبتدأ) متبوعًا بصفة إيجابية مثبتة (مليان)، وجاء ذيل المثل (خبرًا) نفيًا لصفة سلبية مغايرة وهي (ما يلقلقش)،

ومن حاصل تضافر الصفتين؛ الإيجابية المثبتة، والسلبية المنفية يتبلور معنى المثل: أي لا يجعجع بالدعوى إلا قليل البضاعة. فعادةً ما يكشفُ اللجاج والتعالم عن فقر وضحالة وتسطح وخواء كالمتشبع بما لم يعط.

- وقد يأتي المثل على هيئة أسلوب شرط؛ بحيث يقع العنصر المادي في الشرط. فمما يمثل فيه العنصر المادي العنصر الوصفي الأول (الشرط) المثل القائل:

١٥- إن رحت للمشنة خذ عصا وياك

فالعنصر المادي هو المشنة: وهي طبق للخبز كبير يصنع من العيدان، وقع في الشرط أما جواب الشرط فهو ذيل المثل، ونلاحظ أنَّ دلالة المثل تتبلور من خلال التناقض الواضح مما يكني عنه العنصران. فالمشنة قريبة في البيت، يجتمع حولها الأولاد لأخذ الخبز منها، والعصا أدة للضرب والتفريق والتقويم، لكنَّ الدلالة التي يحددها السياق تكمن في أنَّ العصا هنا أيقونة للتقويم والتربية، لا للضرب والزجر. ومن خلال ما يكني عنه الشرط والجواب وما تضيفه أداة الشرط"إن" من دلالة على ما ندُر وقوعه يتضح معنى المثل.

- ومثل هذا المثل الذي يكون فيه العنصر المادي واقعًا في الشرط المثل القائل:

١٦- إن طلع من الخشب ماشه يطلع من الفلاح باشه

فالماشة هي العنصر المادي (عبارة عن كلبين تقبس بهما النار وتصنع عادة من الحديد أو النحاس، فإن صنعت من الخشب لا تصلح؛ لأنها ستحترق (وهي جزء من جملة الشرط)، وقد استحال حدوث جواب الشرط (أن يخرج من الفلاح باشا) لاستحالة جملة الشرط (أن يصنع من

الخشب ماشه). ومن خلال الشرط وجوابة واستحالة العنصريين الوصفين يتضح معنى المثل. هذا بالإضافة إلى تحقيق السجع والازدوج بين جملة الشرط وجملة الجواب. وغير خافٍ أن السياق الثقافي لهذا المثل يرتد إلى زمن سطوة الإقطاعيين الجاثمين على صدور الفلاحين والرافضين رفضًا باتًّا لأدنى مظاهر العدالة الاجتماعية حتَّى في مجرد جلوس ابن الفلاح بجوار ابن الباشا على أريكة واحدة في فصل دراسي واحد، فالمثل يُدَشَّنُ –في إطار سياقه التاريخي –بأن يقنع كلٌّ بحاله، فابن الفلاح فلاح، وابن الباشا باشا. **وهكذا يكون بمقدور المثل الشعبي أنَّ يرتدَّ بنا عبر سياقات ذات أبعادٍ اجتماعية، واقتصادية، وتاريخية مغايرة لمنظور اللحظة.**

– قد يكون العنصر المادي في رأس المثل مضافًا إلى كلمة، هذه الكلمة أساس في تحديد دلالة المثل، على حين لا يكون للعنصر المادي دورٌ سوى استدعاء الموقف المحسوس للفكرة المعنوية التي يتبناها المثل، واقعًا مبتدأ وخبره في الجزء الثاني ومن خلال المبتدأ والخبر يتبلور معنى المثل. مثل:

١٧- بورمة الشرك تفور وتِدِلَّق

والبورمة إناء من الفخار يستخدم في طهي الطعام، فهذه البورمة إن كانت مشتركة بين طرفين أو أكثر، فأغلب الظن أن يذهب التواكل بما تحتويه من طعام، فهذا ينتظر وذاك ينتظر إلى أن تفور البورمة، ويسكب ما بها. فإن أردتَ راحةَ البالِ والحفاظَ على مالِكَ فلا تشاركَنَّ أحدًا؛ فإن فعلت ستكون أحد رجلين: إمَّا أن يتواكل شريكك عليك وتتواكل أنت عليه فتضيع مادة شراكتكما، وإمَّا أن تتحمل أنت أعباء النهوض بأعباء كل المهام وحدك، فتكون كالزارع في غير أرضه. والمثل يستدعي مثلًا أخر من

موروثنا الثقافي: "الشرك ترك". وواضح أنَّ المثل يتوسل بالاستعارة التمثيلية [٣٦] لإيصال المعنى المراد.

١٨- اللّي ما يشُوفش من الغربال يبقى أعمى

جاء هذا المثل في صورة أسلوب الشرط العامي مبتدئًا بأداة الشرط "اللِّي" (مَنْ)، وقد وقع العنصر الثقافي المادي (الغربال) في جملة الشرط مسبوقًا بالفعل المنفي(ما يشوفش)، وجاء جواب الشرط مفجِّرًا المعنى (يبقى أعميى) معتمدًا على الفعل المنفي، والعنصر الثقافي المادي في جملة الشرط.

والغربال به مجموعة من الثقوب الصغيرة، يستطيع المرء أن يرى من خلالها بعض الأشياء بصعوبة، وكأنَّ المثل يحثنا – من خلال معرفتنا بالغربال – على ضرورة النظر والتأمل في الأمور، وضرورة تقدير ظروف الآخرين والنظر في أحوالهم قبل طلب الأشياء منهم، والحكم عليهم، بالإضافة إلى توسله بالاستعارة التمثيلية لتوضيح المعنى.

١٩- اللّي يعملْ قنطرةْ يتَّقّى الدُّوس[٣٧]

يقع العنصر المادي في رأس المثل في صورة أسلوب الشرط، ومن خلال وظيفة العنصر الثقافي المادي (قنطرة) ومن جواب الشرط (يتَّقَّى الدوس)، بالإضافة إلى ما يحمله المثل من استعارة تمثيلية يتضح معنى المثل الذي يرى أنَّ من همَّ لعمل أمرٍ معين عليه أن يتحمل تبعاته. وهو يتناص في بعض جوانبه مع المثل العربي القديم: "على أهلها تجني براقش"[٣٨].

٢٠- اللّي يثلفّخْ بحرام غيره يبات عِريان

يقع العنصر الثقافي المادي في رأس المثل المعبر عنه في أسلوب الشرط، لكنه يأتي مخصصًا بالإضافة (حرام غيره، والحرام هنا: شال من الصوف يضعه

الرجل حول عنقه وقاية من البرد) ويكون جواب الشرط النتيجة التي يريد أن يوصلها المثل من خلال توسله بالاستعارة التمثيلية ومؤداها: على الإنسان ألاَّ يعتمد في قضاء حوائجه على الآخرين وعليه أن يهم بنفسه في قضاء حوائجه.

٢١-سوِّي لخُرجهْ عَديلْ

خرج الجمل: كيسان من الكتان، أو من الصوف يوضعان على جانبي الغبيط، يضع فيهما الجمَّال زاده، وأمتعته، ويفضل أن يكونا متساويين؛ حتَّى لا يميل أحدهما عن الآخر. ونلاحظ هنا أنَّ مبدع المثل قد استعار العنصر الثقافي المادي "الخرج" بما يحملة من دلالة محسوسة في توازنه على جانبي الغبيط إلى ضرورة أن تردع، أو تعدل خصمك بما يعيرك به. وقد جاء المثل في صورة جملة فعلية فعلها طلبي متوسلاً بالعنصر الثقافي المادي (الخرج) وبالاستعارة التمثيلية في إيضاح مضرب المثل؛ إذ يضرب هذا المثل فيمن يعيَّره أحد بمنقصة فعليه أن يجد عِدْلاً لهذه المنقصة عند من يعيِّره يجعل الآخر يكف عنه.

٢٢- المركب اللّي لها ريِّسين تغْرقْ

وقع هذا المثل كله جملة اسمية، مثَّل المبتدأ فيه العنصر الثقافي المادي واقعًا في رأس المثل (المركب) متبوعًا بصفة؛ هي اسم موصول مع صلته (اللي لها ريسين) وقد وقع الخبر في ذيل المثل (تغرق) ملخِّصًا النتيجة المعرفية التي يريد توصيلها للمتلقي، لكنَّ المعنى لا يتضح إلاَّ من خلال **الوصف التابع للعنصر الثقافي المادي "اللي لها ريسين"**. أمَّا مضرب المثل فيتضح من خلال الاستعارة التمثيلية التي يحملها المثل.

٢٣- الحبل المتلِّتْ[٣٩] ما ينقطعش

جاء العنصر الثقافي المادي على رأس المثل في صورة مبتدأ متبوعًا بصفة (الحبل المتَلِّتْ)، ووقع خبره في ذيل المثل جملة

فعلية فعلها مضارع منفي؛ ليؤكد على الصورة الإيجابية التي يحملها المثل، وكانت العلامة البارزة في إيضاح المعنى الوصف المصاحب للعنصر المادي (المتلت) على ما فيه من استعارة تمثيلية لإحكام الأمر. وهو يستحضر معنى المثل العربي القديم: "إذا كويت فأنضج، وإذا مضغت فأدْقِقْ"(٤٠).

ثالثًا: العناصر المادية تقع في ذيل المثل، وعن طريقها يتضح معنى المثل. مثل:

٢٤-إن سموك حرامي شرشر منجلك

فالعنصر المادي (منجل) مثل العنصر الوصفي الثاني ـ طبقًا لتحليل دندس – والمنجل عبارة عن حديدة مشرشرة على هيئة هلال تمسك بيد خشبية، يستخدمها الفلاح في حش البرسيم وقطع البلح وخلافه، فهي نابعة من بيئة زراعية. من خلال معرفتنا بهذا العنصر الوصفي الثاني وبوظيفته يدرك معنى المثل. أي إن رموك بالسرقة زورًا وبهتانًا فعليك شحذ منجلك وحصد ما عندهم . فالبيئة زراعية، والسرقة سرقة محاصيل زراعية؛ لكن المثل يضرب في مواقف مشابهة لهذا الموقف وإن كانت السرقة في غير البيئة الزراعية، والمعنى الكلي: إن كان المجتمع قد أجمع على وصم أحد أفراده بما ليس فيه على نحو لا يجدي معه تبرئة الذمة؛ فليس أمام ذلك الفرد إلاَّ أن يتقمص السجية التي انتحلوها له. وهو يذكرنا – مع اختلاف السياق- بقول حافظ إبراهيم على لسان اللغة العربية:

رموني بعقمٍ في الشباب وليتني عقمتُ فلم أجزع لقول عداتي

ومثل المثل:

٢٥- إنْ جاك الهمّ طوفان حُط أولادكْ معديَّهْ

فقد جاء المثل في أسلوب شرط، ووقع العنصر المادي في نهاية ذيل المثل (معديَّه)، ومعروف من النسق الثقافي للمعدية بأنها كالقنطرة التي تُبنى للعبور عليها، وقد

انتقلت دلالتها من الدلالة المحسوسة خارج المثل إلى دلالة معنوية جديدة اكتُسِبَت من هذا السياق الذي يعبر عن مكنونه التعبير الشعبي المشهور "ياروح ما بعدك روح"؛ فإذا استفحل الهم واستشرى حتَّى كاد يغرق صاحبه في لُجَّةٍ، فليس أمامه سوى أن ينجوَ بنفسه ولو اتَّخذ من فلذة أكباده وأعزِّ ما لديه تكأةً للنجاة.

٢٦- إيشْ انتَ في الحَارةْ يا مُنخُل بلا طارةْ

فالعنصر المادي هو (منخل) وهو يستخدم بوصفه أداةً منزلية في غربلة الحبوب، ونخل الدقيق. وقد جاء في المثل ممثلاً العنصر الوصفي الثاني، أو جزءًا من ذيل المثل، لكن هذا المنخل (بلا طارة) أي بلا إطار، وبالتالي فهو عديم الفائدة. فلا يتضح معنى المثل إلا من خلال معرفتنا بوظيفة الإطار بالنسبة إلى المنخل؛ إذ لا قوام له دونه، فبه يُحجَزُ الدقيق في أثناء نخله، ويُمنَع من أن يتبعثر يمنةً ويسرة، ومعلوم حرص الناخل على المحافظة على الدقيق المنخول، ناهيك بأنَّ هذا الإطار هو الذي تُثبَّتُ به القاعدة ذات الثقوب، حريريةً كانت أو سلكيةً، ومن دون شدِّها جيدًا بهذا الإطار لا يمكن أن تتم عملية النخل على الوجه الأمثل، ومن ثَمَّ فلا جدوى من منخل دون إطار. وهذا ما رمى المثل إلى استدعائه في ذهن المتلقين الذين يعلمون جيدًا أن منخلاً هذه صفته لم يعد منخلاً، فقط مجرد سلكة لا قيمة لها. وهو ما يمكن إسقاطه على الشخص عديم الفائدة. **وهكذا ينهض العنصر الثقافي المادي في ذيل المثل بالدور الإشعاعي الذي تُبنى عليه دلالة المثل، ولا غرو إذًا أن ينهض هذا العنصر المادي نفسه بالوظيفة المجازية في المثل متجسدة في التعبير الكنائي عن الصفة التي لها ضُرِبَ المثل (عدم الفائدة).**

وبالإضافة إلى إبـراز معنـى المثـل مـن خلال الوظيفة النفعية للعنصر المادي نجد أن العنـصر الوصـفي الثـاني (منخـل بـلا طـارة) قـد حقـق الـسجع مـع العنـصر الوصـفي الأول (إيـش انـت في الحـارة) هذا بالإضافة إلى الازدواج وهـو تـساوي كفتي المثل، أو العنصر الوصفي الأول مع العنصر الوصفي الثاني، و وجـود الـسجع مع الازدواج في المثل يحدث أثرًا مو سـيقيًا يساعد على حفظ المثـل وسرعـة انتـشاره. وهذا المثل أيضًا:

٢٧- ماتخُدهاشْ من ورا جَحْش، وخُدْها من ورا نعْش

جاء هذا المثل من الناحيـة التركيبيـة في صـورة أسـلوب إنـشائي في جزئيـه؛ ففـي رأس المثل وجدنا أسلوب النهـي العـامي (ما+ فعل مـضارع + ش) مـا تخـدهاش، وفي ذيـل المثـل وجـدنا الأمـر "خـدها"؛ فالتركيبة طلبية: نهي عن أخذها مـن وراء جحش، وأمـرٍ بأخـذها مـن وراء نعـش. ولكـن كيـف تحـددت الدلالـة المقـصودة (مضرب المثل)؟ إنَّ النسق الثقافي للعنصر المادي يحدد دلالة النعش ووظيفته في حمـل المـُتَوَفَّى إلى مثواه الأخير، فهـو كنايـة عـن الميت، كما أنَّ نهايـة رأس المثـل (جحـش) كناية عن الزوج السابق الحي، ولم تتحـدَّد هذه الدلالة إلَّا عن طريق العنـصر المـادي (الـنعش) الـذي وضـع (الجحـش) في الصورة المقابلة له، فإذا أضفنا إلى هذا دلالة الضمير (ها) في (ما تخـدهاش، وخـدها) الذي يشير إلى المـرأة، مـع وضـع الـسياق الاجتماعي لهذا الخطاب في الاعتبار، يتضح المقـصود مـن الدلالـة النهائيـة والوحيـدة للمثل الذي يقدم النصيحة للرجل الكبـير الذي يريد أن يتزوج بثيب بأن يتزوج المرأة التي تُوفيَ عنها زوجُها، وألَّا يتزوجَ مطلقةً لا يزال زوجها السابق على قيد الحياة، حتَّى لا تُنَغِّصَ عليهِ حياتُه[٤١].

٢٨- يا مآمنهْ للرِّجَال يا مآمنهْ للميَّه في الغربال

جاء هذا المثل في جزئيه أيضًا في صورة أسلوب إنشائي عن طريق أداة النداء (يا)، لكنَّ الدلالة المقصودة تتضح من خلال معرفتنا بطبيعة الغربال وعلاقته بالماء، فالغربال لا يحفظ الماء، ومن هنا يكون العنصر المادي (الغربال) قد ساهم في تحديد الدلالة المقصودة التي تتوجه للمرأة بشكل عامٍ بنصيحة مؤدَّاها: يا أيتها المرأة التي أمنت الرجال (من الخيانة وما شابهها) على نفسها، أنت تمامًا بتمام كمن يأمن حفظ المياه في الغربال.

٢٩- خد الأصيلة ولو كانت على الحصيرهْ

يمثل العنصر المادي فيه العنصر الوصفي الثاني، وجليٌّ ما في ذيله (الحصيرة) من بلورة لشتَّى معطياتِ الحياةِ البسيطةِ التي يتغاضى أفرادُ الجماعة الشعبية عما يعتريها من شظف العيش، لكنهم لا يتنازلون عن كرم المحتد وشرف الأصل اللذان يُتساهلُ في سبيلهما عن كل الشكليَّات التي بلورها العنصر المادي (الحصيرة) على أكمل وجه، متوسلًا في ذلك بالتعبير الكنائي المتعارف على دلالاته لدى أفراد هذه الجماعة الشعبية. وغير خافٍ ما أحدثه هذا العنصر المادي نفسه من سجع موسيقي يساعد في انتشاره ويحول دون نسيانه..

- وقد يكون العنصر المادي هو العنصر الوصفي الثاني لكنه يتناقض مع العنصر الوصفي الأول، ومن خلال التناقض يتضح معنى المثل؛ مثل:

٣٠- الفاضي يعملْ قاضي يُشرط تُوبه ويخيَّط فيه

قد جاء هذا المثل في صيغة جملة اسميه في جزئه الأول، فهو أمرٌ ثابت الحدوث؛ أمَّا في جزئه الثاني فجاء في صورة جملة فعلية فعلها مضارع معطوفة عليها جملة

أخرى مثلها. ونلاحظ أنَّ الجزء الثاني قام بالتفسير وبالدليل على كيفية أن يكون الفاضي قاضيًا . فمضرب المثل ينصرف إلى أنَّ الفراغ قد يذهبُ بصاحبه مذهبًا بالغ الحمق حتَّى ليتصوَّر نفسه زعيمًا وسيِّدًا في قومه، وما هو بذلك، ولا يمتلك شيئًا من مقوِّماته، فهو متشبعٌ بما لم يُعط، وفي الحديث أنَّ "المتشبع بما لم يُعطَ كلابس ثوبي زور"[٤٢] وكأنَّ الفراغ بلغ منه مبلغًا حتَّى صار يفسدُ بين الناس بتزعم عملية الإصلاح لمن أوقع بينهم ؛إنَّه يفسدُ الصالح حتَّى يذوق لذة إصلاحه وإن كانت من قبيل تحصيل الحاصل، والعمل غير المجدي.

ولعلَّ الجزء الثاني من المثل هو الذي يكشف عن هذا البعد بذلك التشبيه التمثيلي "يشرط توبه ويخيط فيه"، ومعلوم كم أنَّ هذه المهمة حمقاء، ولا يقوم بها غير سفيه لايعقل أمره، كما أنَّ عملية الإصلاح لن تعيد الثوبَ كما كان، هذا فضلًا عن الجهد والوقت المبذولين لكنَّه الفراغ !!

إنَّ هذا المثل يتناص في بعض جوانبه مع أسطورة "سيزيف" الإغريقية؛ التي تروي أنَّ رجلًا اسمه سيزيف، أو سيسيفوس كان أحد أكثر الشخصيات مكرًا، حيث استطاع أن يخدع إله الموت "ثاناتوس" مما أغضب كبير الآلهة زيوس، فعاقبه بأن يحمل صخرة من أسفل الجبل إلى أعلاه، فإذا وصل إلى القمة تدحرجت إلى الوادي فيعود إلى رفعها إلى القمة، ويظل هكذا إلى الأبد، فأصبح رمزًا للعذاب الأبدي، والعمل غير المجدي[٤٣].

إنَّ هذه الأسطورة على شبهها بالمثل السابق ؛ فإنَّ الفارق يبقى دالًّا؛ إذ إنَّ سيزيف كان يفعل هذا العبث المضني محكومًا عليه من قوة أكبر منه؛ بينما "الفاضي" في المثل يجهد نفسه، ويعاني كل

هذا العناء تنفلًا من عنده، وإن تكن ثمة قوةٌ أكبر منه فهي قوةٌ ميتافيزيقية، تبدو وهي المعتملة في كلِّ هذا العبث الذي أولع به إنَّها قوةُ **الفراغ!!**

- **إيضاح الجانب المعنوي من المثل عن طريق العنصر المادي**. مثل:

٣١- العربي قصْعَته على الباب..

جاء هذا المثل في صورة الجملة الاسمية، المكونة من مبتدأ خبره جملة اسمية (مبتدأ أول + خبر جملة اسمية ـــــــ مبتدأ ثان + ضمير يعود على المبتدأ الأول الرابط + خبر للمبتدأ الثاني). ومن خلال العنصر الثقافي المادي (قصعته) - الذي وقع في ذيل المثل- وما يحمله من مجاز مرسل اتضحت علاقته المحلية من خلال خبر المبتدأ الثاني (على الباب)، ومن خلال الكناية يتضح معنى المثل الذي ينصرف إلى إسراع العربي بإكرام ضيوفه.

٣٢- الثقل ورا يا قبَّاني

فنلاحظ أن العنصر المادي وهو الميزان القباني مثل الجانب المحسوس لإيضاح المعنى المقصود من المثل، فهو يضرب للأمر يستخف أوائله، وثقله في آخره. هذا الأمر مثل الميزان القباني الذي يعلق فيه ثقل الحديد في آخره.

- **قد يكون المثل على هيئة سؤال وجواب يمثل العنصر المادي الإجابة عن السؤال**، الذي يقع في ذيل المثل، ويتضح المعنى من المثل من خلال التعارض بين ما يتضمنه السؤال (**إيش غرض الأعمى؟**) وما تتضمنه الإجابة (**قفة عيون**) ونلاحظ هنا أن قائل المثل قد استغل الوظيفة النفعية لعنصر الثقافة المادية في إحداث التعارض، فالقفة إناء كبير يصنع من سعف النخيل المضفور ويكسى بحبال من الليف، هذا الإناء كبير يحوي كثيرًا من الخيرات التي يجنيها الفلاح. فعادة ما يطمح المحروم من

شيءٍ ما إلى استحواذه وامتلاك أكبر قدر ممكن منه، وهو ما تشير إليه دلالة العنصر المادي (القفة) من الكثرة المفرطة، وحين تضاف هذه الكلمة إلى العيون نجد أنفسنا أمام تركيب مجاز عقلي، يجمع خيالاً ما لا يمكن جمعه حقيقة.

٣٣- اللّي يعملْ جَمَّال يوَسِّعْ باب داره

جاء هذا المثل أيضًا في أسلوب الشرط العامي، والشرط مثبتٌ (يعمل جمَّال) هذا وقد وقع العنصر الثقافي المادي في جواب الشرط مسبوقًا بفعل الجواب المثبت (يوسع باب داره).

ومن خلال كلمة (جمَّال) وما تستدعيه هذه الكلمة من صورة الجمل وضخامته، وما يستلزمه (بتوسيع باب الدَّار حتَّى يدخل منه الجمل) يتضح معنى المثل؛ إذ المثل يعتمد هنا على الاستعارة التمثيلية، بتشبيه حالة الرجل الذي يجب عليه أن يعد لكل أمرٍ عدته وعتاده، بصورة الجمال الذي يجب عليه أن يوسع باب داره، وهو يدور في معنى المثل: "اللي يعمل قنطرة يتقى الدوس".

٣٤-ركَّبْته ورايهْ حط إيده في الخُرجْ

جاء هذا المثل في صورة أسلوبٍ خبري في جزئيه، غير أنَّ ذيل المثل (حط إيده في الخرج) يحمل دلالة سلبية مترتبةً على الدلالة الإيجابية التي يحملها رأس المثل (ركَّبته ورايه)، لكنَّ هذه النتيجة السلبية التي تبلور معنى المثل لا تتَّضح إلاَّ من خلال معرفتنا بوظيفة الخُرج في إطاره الثقافي؛ حيث يضع فيه الجمَّال طعامه وشرابه، وبالتالي تتحدد الدلالة المقصودة (مضرب المثل) في: مَن يتطوع بمساعدةِ أحدٍ في قضاء أمرٍ بعينه، فإنَّ ذلك يؤدي إلى الطمع في المزيد، وأخذ ما لا يحق له أخذه، وهو قريب من معنى المثل المشهور: **سكتنا له دخل بحماره**.

٣٥- عامل زي الجمل اللي يدُّق في وِثْرِه

وِثْرُ الجملِ: غبيطُه، ويضرب هذا المثل فيمن يسيء إلى أقرب الناس إليه .

هذا المثل يصاغ في صورة تشبيهية للإنسان الذي يسيء إلى أقرب الناس إليه بصورة الجمل الذي يدق في غبيطه، وقد وقع العنصر الثقافي المادي في جملة صلة الموصول الواصف للجمل، ومن خلال صلة العنصر الثقافي المادي (الغبيط) بالجمل تتضح لنا صورة التشبيه الموجودة في المثل، ويتضح معها مضرب المثل.

٣٦- ما ينفع الشَّد للّي رسنها عاب

في هذا المثل وقع العنصر الثقافي المادي في ذيل المثل (رسنها[٤٤]) صدرًا لجملة صلة الموصول (للي رسنها عاب)، وجاء رأس المثل جملة فعلية فعلها مضارع منفية بما.

ويتبلور معنى المثل من خلال الخبر الذي يخبر عن العنصر الثقافي المادي (عاب). في إطار الاستعارة التمثيلية، والتشبيه الضمني المفهوم من سياق ضرب المثل، فكما لا ينفع أن تُشُدَّ رسن الدَّابة المتهالك، لا ينفع الإصلاح في الفتاة التي عيب أصلها. ونلاحظُ هنا أنَّ مبدع المثل استخدم التعبير "عاب" عن الرسن القديم المتهالك، وكان يمكنه أن يستخدم التعبير الدارج في الحياة اليومية "داب" غير أنَّ استخدام "عاب" تنقل معنى المثل من المعنى المحسوس الظاهر إلى المعنى المعنوي المقصود وهو " الأصل العايب "؛ لأنَّ هذا الأصل لا يعبر عنه بـ"داب ". وقد استخدم التعبير بالجملة الاسمية في (للي رسنها عاب) لما فيه من ثبوت هذا الأمر، وبالتالي ثبوت عدم إصلاحه. فماذا عساه أن يجدي التقويم، والتوجيه فيمن لم تكن أداة إصلاحه قائمة؟! فإذا حاولتَ إصلاحه أو تقويمه فقدته من الأساس، مثلما هي الحال في الحبل المهترئ الذي هو

على وشك الانقطاع بمجرد أن تشرع في شده. والمثل يستدعي مثلاً آخر قريبًا من هذا المعنى " إيش تعمل الماشطة في الوش العكر؟!" أي لايجدي التجميل والتحسين إن كان جوهره غير صالح لهذا التجميل ولا متقبلًا له . وإذا كان مضرب المثل ينصرف في الأساس إلى المرأة التي عِيبت في أصلها، فقد يتشابه في بعض جوانبه مع مضمون قول النبي ﷺ " إنَّ المرأةَ خُلقت من ضِلعٍ، لن يستقيم لك على طريقة، فإن استمتعت بها، وبها عوج، وإن ذهبت تقيمها كسرتها، وكسرُها طلاقُها"[٤٥].

والجامع بين المثل وهذا الحديث أنَّ الحكمة والذكاء قد يقتضيان أحيانًا التغافل عن العيوب الظاهرة؛ إذا كان تقويمها سيجلب مفسدةً أكبر؛ إذ درءُ المفسدة مقدم على جلب المصلحة – كما يقول الفقهاء – وقد أثر عن الشافعي – رحمه الله – أنَّه قال "الكيِّسُ العاقل هو الفطن المتغافل "، وقد أثر عن الإمام أحمد عن رجلٍ يقول: "التغافل تسعة أعشار العقل" فقال: "بل هو العقل كله." وقد قال أبو تمَّام في هذا المعنى:

ليس الغبيُّ بسيِّدٍ في قومه ... لكنَّ سيِّدَ قومهِ المُتغابي[٤٦]

= = = = = = = = = = = = = = =

خاتمة

- اتَّضح لنا من خلال تحليلنا لبنية بعض الأمثال أنَّ عناصر الثقافة المادية تحمل مخزونًا ثقافيًّا، يؤثر بشكلٍ مباشرٍ أو غير مباشرٍ في تحديد الدلالة المقصودة للمثل، ومن هنا تكمن صعوبة فصل المادي من غير المادي، ويكون الفصل فقط من أجل الدراسة.

- وأيّـَا كان موقع العنصر الثقافي المادي من بنية المثل سواء أوقع في رأسه أم في ذيله أم فيهما معًا، في جملة خبرية، أم

في إنشائية، في أسلوب شرطٍ أم في غيره؛ فإنَّ دوره كان واضحًا في تحديد الدلالة النهائية؛ إذ يقوم بالدور الإشعاعي للدلالة المقصودة، بالإضافة إلى أنه ينهض أحيانًا بالوظيفة المجازية في المثل متجسدة تارة في الكناية، وتارة أخرى في الاستعارة التمثيلية أو في التشبيه، وهذه الوظيفة هي التي يتحدد من خلالها مضرب المثل.

- يُضاف إلى دلالة العنصر الثقافي المادي – في بعض الأمثال – معنى إضافيّ يكتسبه من خلال تعبيرٍ بعينه، هذا المعنى الإضافي يساهم إلى حدٍّ كبير في الدلالة النهائية.

- يكون للعنصر الثقافي المادي – في بعض الأمثال – دورٌ في إحداث السجع والازدواج بين جزأي المثل، وهو ما يحدث جرسًا موسيقيًّا يساعد على حفظ المثل وانتشاره.

- في بعض الأمثال لا يدل العنصر الثقافي بشكلٍ مباشر على مضرب المثل؛ إنما تتحدد الدلالة من خلال ما يكني عنه هذا العنصر.

- تتحددُ للعنصر المادي أكثر من دلالة من خلال طبيعته ووظيفته النفعية في نسقه الثقافي، وهذا ما يساعد مبدع المثل على صياغة أكثر من مثل يعتمد على الدلالات المختلفة التي تُفهَم من هذا العنصر المادي، ومن السياقات المختلفة التي يرد فيها مثل: اللِّي ما يشوفش م **الغربال** يبقى اعمى – **الغربال** الجديد له شدَّه – يا مآمنه للرجال يا مآمنه للميَّه في **الغربال** - ما عندهمش دقيق واشتروهم **غربال** جديد– إيش انت في الحاره يا **منخل** بلا طاره. فالكلمة «لها على وجه العموم من المعاني ما لها من الاستعمالات، ولكن كل معنى منها مستقل عن المعاني الأخرى؛ إذ إنه لا

يكون في ذهننا عند استعمال الكلمة إلا معنى واحد»[٤٧].

- إنَّ تكرار عنصر ثقافي مادي بعينه في أكثر من مثل يهم دارس الأنثروبولوجيا في تحديد أهمية هذا العنصر في البيئة المكانية والزمانية التي نشأ فيها؛ فتكرار عنصر **الغربال** مثلًا في عديد من الأمثال يشير إلى أنَّ الغربال لا يخلو بيت منه؛ ذلك أنَّه يرتبط بشكل مباشر بأقوات الناس وزادهم من خلال نخله الدقيق الذي يسد رمقهم، ويكون عليه غذاؤهم.

يرتدُّ بنا المثل الشعبي – من خلال توسله بعناصر الثقافة المادية، ووضعها في سياق تركيبي بعينه – عبر سياقاتٍ بعيدة ذات أبعاد اجتماعية، واقتصادية، وتاريخية مغايرة لمنظور اللحظة. (إن طلع من الخشب ماشه يطلع من الفلاح باشه).

- من كل هذا اتَّضح لنا جليًّا أنَّ عناصر الثقافة المادية تقوم مقامها التأسيسي لجوهر بنية المثل وتحديد دلالته.

توثيق الأمثال الواردة في البحث

هذه الأمثال التي قامت عليها الدراسة مختارةٌ – وفقًا لطبيعة الموضوع – من أكثر من مائةٍ وثلاثين مثلًا، قام الباحثُ بجمعها في فتراتٍ زمنية مختلفة من الواحات ومن شمال سيناء ومن جنوب سيناء، ومن أبي المطامير (بحيرة). وهي أمثالٌ في جملتها مرتبطة بموضوعات خاصة – كان الباحثُ قد حددها سلفًا بهدف دراستها - ستكون البقية منها- بإذن الله - موضوع دراسة تخصصية أخرى . وفي هذا الجدول سنعتمد على ترقيم المثل داخل البحث والإشارة إلى راويه، ومكانه ، وزمن روايته.

الزمان	المكان	الراوي، الراوية	أرقام الأمثال
صيف ٢٠١٣	الواحات البحرية – الباويطي	محمد كيلاني أحمد علي – ٥٧ سنة – عامل أمن بهيئة الآثار	١، ٧، ٨، ١٣، ١٥، ٢٨، ١٧، ٢٠، ١٨، ٢٢، ٢٣، ١٩
صيف ٢٠١٣	الباويطي – الواحات البحرية	نوارة صالح مهدي – ٧٨ سنة – أرملة –أمية	١، ٢، ٥، ٧، ٨، ١٣، ٩، ١٥، ١٧، ٢٣، ٢٤، ٢٦، ٢، ٢٥، ٢٢، ١٩، ١٨، ٢٨، ٧
صيف ٢٠١٢	الواحات البحرية الباويطي	عبد الموجود عبد السيِّد – فلاح – ٦٠ سنة	٢، ٢٤، ٢٣، ١٨، ١٣، ٢٨، ٩، ٢٠، ١٦، ٣٠، ٩
صيف ٢٠١٤	أبو كاشيك أبو المطامير – بحيرة	صلاح فرج عبدالجليل – ٥٥سنة	٣١، ١٥، ٢٠، ٢٢، ١٠، ٣
صيف ٢٠١٣.	أبو كاشيك – أبو المطامير – بحيرة	مفتاح عبدالسلام هنداوي- ٤٨ سنة – مهندس زراعي	١٩، ١٤، ١٣، ١٥، ٢٠، ٣٥، ٣١، ٣٤، ٣٢

الزمان	المكان	الراوي، الراوية	أرقام الأمثال
		– قاضٍ عرفي	
صيف٢٠١٤	جنوب سينا – كاترين – وادي فيران	حسن خضر حسين – قبيلة الجبالية من بطن أبوهيب – ٤٣ سنة – أعمال حرة	٤ ، ٦،١١ ، ٣١، ٣٥،٣٤،١٢،٢١
صيف ٢٠١٤	جنوب سينا – الطور – من أولاد سعيد	جميع رمضان موسى – ٣٣ سنة	٦،٢٤،٢١،١٢ ، ١١ ، ٢٨، ٣٣
صيف ٢٠١٠	شمال سينا – العريش – قرية الطويِّل	سليمان أبو مغنم – ٧٧ سنة – أعمال حرة	٣٦،٣٣،٣٤،٣١،٢٩،٥

= = = = = = = = = = = = = = =

الهوامش:

١ – إبراهيم أحمد شعلان – موسوعة الأمثال الشعبية المصرية والتعبيرات السائدة – دار الآفاق العربية – القاهرة – ط١ – ٢٠٠٣ – ص ١٥.

٢ – دوني كوش – مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية – ترجمة: قاسم المقداد – اتحاد الكتاب العرب – دمشق ٢٠٠٢ – ص ٢٠.

٣ – المرجع السابق ص ١٤٤ – ١٤٥ .

٤ – عبدالله الغذامي – النقد الثقافي –

سلسلة كتابات نقدية – الهيئة العامة لقصور الثقافة – ع ١٨٩ – ٢٠١٠ – ص ٧٨.

٥- عبد الحميد حواس – المادي وغير المادي في الثقافة الشعبية – مجلة الثقافة الشعبية – البحرين – ع ٩ – البحرين – ٢٠١١.

٦- أيكه هولتكرانس - قاموس مصطلحات الإثنولوجيا والفولكلور - ترجمة: الدكتور محمد الجوهري وحسن الشامي - الهيئة العامة لقصور الثقافة - ١٩٩٩- ص ١٢ .

٧- السياق الثقافي هو "مجموع العناصر الثقافية الرئيسية التي تتخلق فيها الظواهر الثقافية ... وتعود أهمية السياق الثقافي بما يتضمنه من عناصر متعددة إلى كونه الإطار الشامل الذي تتشكل فيه ظاهرة التمثل الثقافي " انظر: سامي سليمان – التمثل الثقافي وتلقي الأنواع الأدبية الحديثة – مكتبة الآداب – القاهرة – ٢٠١٤ – ص ٣٢-٣٣ .

٨- صون التراث الثقافي غير المادي – أرشيف الحياة والمأثورات الشعبية – مصر نموذجًا – المجلس الأعلى للثقافة ٢٠١٣ ص ١١.

٩- عبدالله الغذامي – النقد الثقافي ص ٧٩.

١٠- هذه الدراسة بعنوان: حول بنية المثل الشعبي – آلان دندس – ترجمة خطري عرابي – مجلة الفنون الشعبية – ع ٥٣ أكتوبر – ديسمبر ١٩٩٦ – الهيئة المصرية العامة للكتاب - من ص ٨٩- ١٠٢. وقد حاول الباحث الاستفادة من هذه الدراسة في طبيعة الهيكل الأساسي أو الوحدات البنيوية الدنيا التي أخذها المؤلف عن "ملنر ".

والتي تفترض أنَّ للمثل أربعة أجزاء؛ هي الوحدات الصغرى، تجتمع في جزءين هما الوحدات الكبرى، التي تماثل وتوازن كل منهما الأخرى، حيثُ يطلق على الجزء الأول الافتتاحي للمثل "الرأس" بينما يطلق على النصف الثاني "الذيل". المرجع السابق ص ٩١.

١١- النقد الثقافي «ليس منهجًا بين مناهج أخرى، أو مذهبًا أو نظرية، كما أنه ليس فرعًا أو مجالاً متخصصًا من بين فروع المعرفة ومجالاتها، بل هو ممارسة أو فاعلية تتوفر على درس كل ماتنتجه الثقافة من نصوص سواء كانت مادية أو

فكرية، ويعني النص هنا كل ممارسة قولًا أو فعلًا، تولد معنى أو دلالة». صلاح قنصوة – تمارين في النقد الثقافي – الهيئة المصرية العامة للكتاب – مكتبة الأسرة – ٢٠٠٧ – ص ١١. أمَّا مجال النقد الثقافي فهو «رحب، وموضوعه هو النص، ليس المكتوب فحسب، بل المرئي أيضًا في الفنون التشكيلية ووسائط الإعلام، وأيضًا في كل ممارسة **مادية** أو **فكرية** لها دلالة». سعيد علوش – نقد ثقافي أم حداثة سلفية – المجلس الأعلى للثقافة – ٢١٠ – ص ٦٢.

١٢- ترجع صعوبة جمع المثل إلى طبيعة المثل نفسه، الذي يخرج من ملقيه تلقائيًّا في موقفٍ بعينه هو مضرب المثل؛ فقد تطلب من راوٍ يحفظ كثيرًا من الأمثال أن يقول لك ما يحفظ، فيعطيك مثلًا أو مثلين، ويتوقف ، وإذا ألححت عليه بالسؤال قال لك: "أنا حافظ كثير بس الأمثال طارت مني"، وقد حاول الباحث أن يعالج هذه المشكلة بأن يكلف بعض الرواة بكتابة الأمثال التي تعنُّ له خلال فترة زمنية معينة في مضاربها الطبيعية، أو يكلف أحدًا بكتابتها، إذا كان ممن لا يجيدون الكتابة، ثم يعود الباحث ليأخذها منه، مناقشًا معه مضرب هذه الأمثال ودلالتها.

١٣- الدست: هي لفظة فارسية تعني في الأصل (قدر، إناء كبير) وعربيتها المرجل. انظر: سامح مقار- غرائب التعبيرات والأمثال الشعبية - الهيئة المصرية العامة للكتاب – ٢٠٠٩ – ص ٧٢.

١٤- **اللِّي** في العامية المصرية بشكل عام تستخدم بمعنى الاسم الموصول العام للمفرد والمثنى والجمع للعاقل وغير العاقل، وفي هذا المثال استخدمت لغير العاقل، وقد حاول الدكتور شوقي ضيف إرجاعها إلى أصلٍ فصيح فقال: "ولذلك أصلٌ في العربية فقد ذكر النحاة "الـ" بين الأسماء الموصولة وقالوا: إنها تستخدم مكان لفظ الذي وفروعه ومثلوا لها داخلة على جملة فعلية [ما أنت بالحكم **الترضى** حكومته]، وأخرى اسمية [مِنَ القومِ **الرسولُ** الله منهم]، وظرف [من لا يزالُ شاكرًا على **المَعَهْ**]، وقال ابن مالك: إنها تستخدم في النثر مثل الشعر، والعامية زادت عليها لامًا

وياءً ." انظر: شوقي ضيف – بين الفصحى والعامية المصرية – ضمن كتاب: اللهجات العربية بين الفصحى والعامية – جمع: ثروت عبدالسميع – مراجعة: محمد حماد – إشراف: كمال بشر – مجمع اللغة العربية ٢٠٠٦- ص ٢٥٧.

١٥- الزوزني - شرح المعلقات السبع – تحقيق محمد عبد القادر الفاضلي – المكتبة العصرية – بيروت – ٢٠٠٤– ص ١٢٧.

١٦- فندريس – اللغة – ت: عبد الحميد الدواخلي ، ومحمد القصاص – ميراث الترجمة- المركز القومي للترجمة – القاهرة – ٢٠١٤ ص ٢٣١.

١٧- عبد القاهر الجرجاني – دلائل الإعجاز – قرأه وعلق عليه / محمود محمد شاكر – مكتبة الخانجي بالقاهرة – ط٢- ١٩٨٩م، ص ٤٠٢.

١٨- يعد القدوم أو القادوم أحد أهم أدوات النجار التي تنفذ بها مختلف مصنوعاته الخشبية، وهو يتكون من جزءين مختلفين: الأول مقبض أو نصاب خشبي .. الجزء الآخر هو رأس القدوم، وهو عبارة عن حديدة متينة تشبه رأس المسحاة الصغيرة. لمزيد من التفصيل انظر: عبدالله العمير - عدد ومستلزمات الحرفيين الشعبيين في المملكة العربية السعودية- المأثورات الشعبية في مائة عام – سلسلة أبحاث المؤتمرات / ١٠ – الجزء الثاني (٣٣٧-٣٨٦)– المجلس الأعلى للثقافة – يناير ٢٠٠١- ص ٣٦٦.

١٩- ديوان أبي الطيب المتنبي – شرح العكبري – تحقيق: مصطفى السقا وآخرين - دار المعرفة – بيروت – ج١- سنة ١٩٧٨- ص ٢٨٨ .

٢٠- المترد: هو إناء من فخار أحمر وأصفر، وهو أشهر أواني الفلاحين، يحملون فيه اللبن ويضعون فيه الطبيخ، ويساويه في الشهرة (الطاجن) فهم يضعونه في الفرن ينضجون فيه اللحم أو السمك أو الطير أو الأرز أو نحو ذلك . لمزيد من التفاصيل انظر: أحمد أمين – قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية – دار الشروق – ط٢- ٢١٠ ص ٢٨٢. لكنَّ الباحث رأى المترد في الواحات في طورٍ من أطوار استخدامه؛ إذ كان

يستخدم لعمل خميرة الخبز الشمسي، أو يُعجَنُ فيه الخبز إذا كان بكميات قليلة، أو لصناعة الكشك، ولم ير المترد يحلب فيه اللبن لوجود أدواتٍ جديدة أخف في حملها من المترد. وربما كان يستخدم في الحلب في فترة سابقة. على أنَّ الباحث رأى في فترة صباه البُرمه، وعاءً للحلبِ، وإناءً لطهي الطعام.

٢١- الجملة الثقافية مفهومٌ يمس الذبذبات الدقيقة للتشكل الثقافي الذي يفرز صيغه التعبيرية المختلفة. انظر: النقد الثقافي ص ٧٧.

٢٢- أحمد زايد – خطاب الحياة اليومية في المجتمع المصري – الأنجلو المصرية – ٢٠٠٣ ص ١٥٢.

٢٣- يتحدد النسق عبر وظيفته، وليس عبر وجوده المجرد، والوظيفة النسقية لا تحدث إلا في وضع محدد ومقيد، وهذا يكون حينما يتعارض نسقان أو نظامان من أنظمة الخطاب. الغذامي – النقد الثقافي – ص ٨٠.

٢٤- هانم الشامي – أثر السياق في بنية الآيات المنتهية بأسماء الله الحسنى – دراسة تحليلية – مكتبة الآداب – ٢٠١٣ – ص ١٣.

٢٥- مجمع الأمثال – الميداني رقم ٣١٦٥- ٢/ ١٦٢.

٢٦- الميداني – مجْمَعُ الأمثال – دار المعرفة – بيروت – لبنان-ج١ - د.ت رقم المثل: ٢٠٩-ص ٥٢.

٢٧- انظر آلان دندس - حول بنية المثل – ترجمة: خطري عرابي - الفنون لشعبية ع: ٥٣ - اكتوبر ديسمبر ٩٦ من ٨٩ ـ ١٠٢.

٢٨- الزوزني – شرح المعلقات السبع – ص ١٠١.

٢٩- المقصود بالحموات في لغة شمال سيناء السلايف، أي زوجات الإخوة، ويروى المثل في الواحات: **مركب الضرايز سارت، ومركب السلايف احتارت.**

٣٠- الميداني – مجمع الأمثال- رقم:٣١٥٩ – ج٢/ ١٦٢.

٣١- كشاجم – الديوان – مكتبة الخانجي – ١٩٩٧ – ص ٩٢. ، والبيت أيضًا في زهر الآداب ٢/ ١٠٦٢.

٣٢- النسق هنا من حيثُ هو دلالة مضمرة؛ فإنَّ هذه الدلالة ليست مصنوعة من مؤلف، ولكنها منكتبة ومنغرسة في الخطاب، مؤلفتها الثقافة، ومستهلكوها جماهير اللغة من كتاب وقراء يتساوى في ذلك الصغير مع الكبير والنساء مع الرجال والمهمَّش مع المسود. (الغذامي – النقد الثقافي – ص ٨٢. ويرى سامي سليمان- من وجهة نظر نقدية- أنَّ النسق " بنية ضمنية منضبطة، ومترابطة وقائمة على منطق خاص لمجموعة من التصورات الكلية التي تتناول جانبًا من جوانب الظاهرة الثقافية التي يتعامل معها منتجو الخطاب النقدي." التمثل الثقافي ص ٣٤.

٣٣- هويدي شعبان هويدي - علم الدلالة بين النظرية والتطبيق - مكتبة النصر للتوزيع والنشر – ط٣- ٢٠٠٥- ص ١٤٥ .

٣٤- هويدي شعبان هويدي – علم الدلالة بين النظرية والتطبيق – ١٥٤.ص

٣٥- هذا جزء من حديث رسول الله ﷺ عن جابر – يعني ابن عبد الله – قال: قال رسول الله ﷺ ": لو أن لابن آدم واديا من مال لتمنى واديين ولو أن له واديين لتمنى ثالثا ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب . " رواه أحمد، انظر : نور الدين علي بن أبي بكر الهبشي – مجمع الزوائد ومنبع الفوائد – رقم الحديث ١٧٧٨٦ .

٣٦- الاستعارة التمثيلية: تركيبٌ استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة معناه الأصلي. انظر: علي الجارم ، ومصطفي أمين – البلاغة الواضحة – دار المعارف – ط٢١ - ١٩٦٩ م.

٣٧- القنطرة: الجسر الذي يصل بين شطَّي ترعة . وقد شبَّه طرَفة ناقته بالقنطرة لصلابتها وقوتها فقال:

كقنطرة الرومي أقسمَ ربُّها لتُكتَنَفَنْ حتَّى تُشادَ بقرمَدِ

انظر: شرح المعلقات السبع للزوزني – تحقيق محمد الفاضلي – المكتبة العصرية - بيروت - ٢٠٠٤ – ص ٧٥.

٣٨- الميداني – مجمع الأمثال – رقم ٢٤٢٧- ٢/ ١٤.

٣٩- الحبل المتلت: الذي أعيد فتله مراتٍ ثلاث، فهو قوي جدًا لا ينقطع.

٤٠- الميداني- مجمع الأمثال- رقم: ١٩٩ -١/ ٥٠.

٤١- التعبير بجحش للزوج يشبه في بعض جوانبه ما ذكره فرانكو موريتي نقلاً عن ماكس بلاك (نماذج واستعارات إيثاكا ١٩٦٢ من ٣٩-٤٠) حين قال: "خذوا القول: الإنسانُ ذئبٌ، هذه الجملة الاستعارية لا يمكن أن تنقل معناها المقصود إلى قارئ لديه ما يكفي من الجهل بأمور الذئاب، فما تحتاجه ليس معرفة القارئ بالمعنى المعجمي المعياري لكلمة ذئب – أو قدرته على استخدام تلك الكلمة بمعانٍ حرفية – بل معرفته بما أدعوه نظام الأمور الشائعة المرافقة." لمزيد من التفصيل انظر: علامات أخذت على أنها أعاجيب في سوسيولوجيا الأشكال الأدبية ص ٢٢.

٤٢- الحديث في صحيح البخاري : عن أسماء أنَّ امرأةً قالت: يارسول الله إنَّ لي ضرةً فهل عليَّ جُناحٌ إن تشبعتُ من زوجي غير الذي يعطيني، فقال رسول الله ﷺ: "المتشبع بما لم يعطَ كلابس ثوبي زور". ٧/ ٣٥.

٤٣- لمزيد من التفصيل انظر : البيركامو – أسطورة سيزيف – ترجمة : أنيس زكي حسن – منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت – لبنان – ١٩٨٣.

٤٤- الرسن: الحبل الذي تلجم به الدابة، وهو فصيح، جاء في لسان العرب الرَّسنُ: الحبلُ. والرَّسنُ: ما كان من الأزِمَّة على الأنف. (ابن منظور – لسان العرب – ط دار المعارف – مادة: رسن).

٤٥- صحيح مسلم – باب الوصية بالنساء - ٢/ ١٠٩١.

٤٦- الآمدي – الموازنة بين أبي تمَّام والبحتري – تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد – المكتبة العلمية بيروت – د.ت – ص ٩٦.

٤٧- فندريس – اللغة – ص ٢٤٢.

= = = = = = = = = = = = = = =

المصادر والمراجع

١- آلان دندس - حول بنية المثل - ترجمة: خطري عرابي - مجلة الفنون الشعبية - ع ٥٣ أكتوبر ديسمبر ١٩٩٦ من ٨٩ ـ ١٠٢.

٢- الآمدي – الموازنة بين أبي تمّام والبحتري – تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد – المكتبة العلمية بيروت –د.ت.

٣- إبراهيم أحمد شعلان – موسوعة الأمثال الشعبية المصرية والتعبيرات السائدة – دار الآفاق العربية – القاهرة – ط١ – ٢٠٠٣.

٤- إبراهيم بن علي الحصري القيرواني – زهر الآداب وثمر الألباب – تحقيق: علي محمد البجاوي – دار إحياء الكتب العربية – القاهرة – ١٩٥٣.

٥- ابن منظور – لسان العرب – تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرين - ط دار المعارف – د.ت.

٦- البيركامو – أسطورة سيزيف – ترجمة: أنيس زكي حسن – منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت – لبنان – ١٩٨٣.

٧- أحمد أمين – قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية – دار الشروق – ط٢ – ٢٠١٠.

٨- أحمد زايد – خطاب الحياة اليومية في المجتمع المصري – الأنجلو المصرية – ٢٠٠٣.

٩- أحمد مرسي (تحرير) – صون التراث الثقافي غير المادي – أرشيف الحياة والمأثورات الشعبية - مصر نموذجًا – المجلس الأعلى للثقافة – ط١ -٢٠١٣.

١٠- أيكه هولتكرانس - قاموس مصطلحات الإثنولوجيا والفولكلور - ترجمة: الدكتور محمد الجوهري وحسن الشامي - الهيئة العامة لقصور الثقافة - ١٩٩٩.

١١- البخاري – صحيح البخاري – ج٧ – تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر – دار طوق النجاة – ط١ – ٢٠٠١.

١٢- دوني كوش – مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية – ترجمة: قاسم المقداد – اتحاد الكتاب العرب – دمشق ٢٠٠٢.

١٣- الزوزني – شرح المعلقات السبع – تحقيق: محمد عبد القادر الفاضلي – المكتبة العصرية – بيروت – ٢٠٠٤.

١٤- سامح مقار– غرائب التعبيرات والأمثال الشعبية – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ٢٠٠٩.

١٥- سامي سليمان – التمثل الثقافي وتلقي الأنواع الأدبية الحديثة – مكتبة الآداب – القاهرة – ٢٠١٤ – ص ٣٢.

١٦- سعيد علوش – نقد ثقافي أم حداثة سلفية – المجلس الأعلى للثقافة – ٢٠١٠.

١٧- شوقي ضيف – بين الفصحى والعامية المصرية – ضمن كتاب: اللهجات العربية بين الفصحى والعامية – جمع: ثروت عبد السميع – مراجعة: محمد حماد – إشراف: كمال بشر – مجمع اللغة العربية ٢٠٠٦.

١٨- صلاح قنصوة – تمارين في النقد الثقافي – الهيئة المصرية العامة للكتاب – مكتبة الأسرة – ٢٠٠٧.

١٩- عبدالحميد حواس – المادي وغير المادي في الثقافة الشعبية – مجلة الثقافة الشعبية – البحرين – ع ٩ – البحرين – ٢٠١١.

٢٠- عبد القاهر الجرجاني – دلائل الإعجاز – قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر – مكتبة الخانجي بالقاهرة – ط٢- ١٩٨٩ م.

٢١- عبدالله العمير - عدد ومستلزمات الحرفيين الشعبيين في المملكة العربية السعودية- المأثورات الشعبية في مائة عام – سلسلة أبحاث المؤتمرات / ١٠ – الجزء الثاني (٣٣٧-٣٨٦) – المجلس الأعلى للثقافة – يناير ٢٠٠١.

٢٢- عبدالله الغذامي – النقد الثقافي – سلسلة كتابات نقدية – الهيئة العامة لقصور الثقافة – ع ١٨٩ – ٢٠١٠.

٢٣- علي الجارم ، ومصطفى أمين – البلاغة الواضحة – دار المعارف – ط٢١ ١٩٦٩ م.

٢٤- فرانكو موريتي – علامات أخذت على أنها أعاجيب في سوسيولوجيا الأشكال الأدبية – ترجمة وتقديم: ثائر ديب – المركز القومي للترجمة – ٢٠٠٨.

٢٥- فندريس – اللغة – ت: عبدالحميد الدواخلي ، ومحمد القصاص – المركز القومي للترجمة – ميراث الترجمة – المركز القومي للترجمة– القاهرة – ٢٠١٤.

٢٦- كشاجم – الديوان – مكتبة الخانجي – ١٩٩٧.

٢٧- المتنبي – الديوان – شرح: العكبري – تحقيق: مصطفى السقا وآخرين - دار المعرفة – بيروت – ج١- سنة ١٩٧٨.

٢٨- مسلم بن الحجاج، أبو الحسين – الجامع الصحيح – تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي – دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان- د.ت.

٢٩- الميـداني – مجْمَـعُ الأمثـال – دار المعرفة – بيروت – لبنان- د.ت

٣٠- نور الدين الهيثمي – مجمع الزوائد ومنبـع الفوائـد – مكتبـة القـدسي – ١٩٩٤.

٣١- هانم الشامي – أثر السياق في بنيـة الآيات المنتهيـة بأسـماء الله الحـسنى – دراسـة تحليليـة – مكتبـة الآداب – ٢٠١٣.

هويدي شعبان هويدي – علم الدلالة بين النظرية والتطبيق – مكتبة النـصر للتوزيع والنشر – ط٣- ٢٠٠٥.

* * * *